مُناقشَاتٌ

العروض ومسئولية النقد والتجديد

بقلم الحساني حسن عبد الله

العروض الحر عنصر اساسي من عناصر مشكلة الشعر الجديد ، وهو يكاد يكون اوضح مظهر من مظاهر التجديد في هذا النوع من الشعر. واستقراره على اسس واضحة معترف بها امر مطلوب . ولكن الملاحظ حتى الان ان دراسات الباحثين والنقاد في هذا الموضوع مازالت قليلة ، وتفتقر الى الكثير من الجدية والعمق والشمول . والشعراء يعتمدون على انفسهم في تطوير العروض وكشف حقائقه وتبين اسراره – وكثيرا مايقومون بدور النقاد والباحثين في هذا المجال . فعليهم – وهم الرواد الحقيقيون لتلك الحركة التجديدية – ان يتحملوا مسئولية الثورة على الشكل القديم . ولا مسئولية بلا وعي ناضج وثقافة عميقة. وليست من النضج ولا العمق في شيء تلك الملاحظات التي نثرها الاديب فضل الامين في نقده لقصائد العدد الثاني من « الاداب » . فهو مطالب – كناقد – ان يبين الاساس الذي بنى عليه احكامه ، ومطالب – كشاعر – ان يكون ذوقه العروضي في المستوى اللائق بالثائرين على الشكل القديم ، حتى لاتعم الفوضى ويحل الاضطراب باسم التجديد . ولكن « الاديب الفاضل لم يحقق شيئا من هذا فهو يقرأ « الظل والصليب » لصلاح عبد الصبور فلا يسترعي انتباهه الا اخطاء المطبعة التي لا تخفى على قارىء مدمن للشعر الجديد فضلا عن شاعر. ان التنبه لهذه الاخطاء امر ضروري ، ولكنه ليس كل شيء فقصيدة صلاح تلتزم « الرجز » ولكنها تشذ عنه في بعض مقاطعها ، وعلينا ان نرصد هذا الشذوذ بكل اهتمام ، فاما ان نتهم الشاعر بالخطأ ، واما ان نساير في شذوذه بعد البحث والتمحيص – وفي هذه الحالة تنتفي صفة الشذوذ وتصبح الظاهرة الشاذة قاعدة . تبدأ القصيدة بهذا المقطع :

« هذا زمان السأم » ووزنه « مستفعلن فاعلن » و « فاعلن » هذه تدخل في مقطع اخر ايضا حيث تقول القصيدة : « .. يصلبه حزنه تسمل عيناه بلا بريق » . ومن المتفق عليه ان « فاعلن » لاتدخل الرجز فهل ادخلها الشاعربقصد او بلا قصد ؟ انا لاانردد في اتهام الشاعر بالخطأ – وعليه ان كان يقصد الخروج على الرجز ان يشرح لنا السبب اما ان كان لايقصد فانا نتهمه بالتهاون في حمل مسئولية التجديد . وتدخل تفعيلة « الهزج » – مفاعيلن – في ثلاث جمل : الاولى حيث يقول الشاعر : « .. ندفن فيها جثث الافكار والاحزان ، من ترابها يقوم هيكل الانسان . » والتفعيلة المقصودة « كللانسان » . والثانية حيث يقول : « .. لانه يموت قبل ان يصارع التيار » والتفعيلة المقصودة « رعتتيار » . والثالثة حيث يقول : « .. كان سليم الجسم ، دون جرح دون خدش، دون دم » ووزنها : « مفتعلن/ مستفعلن/ مفاعيلن / مفاعيلن فعل » .

لقد حاولت في بحوث سابقة ان اناقش هذه الاخطاء وابحث لها عن علل او تبريرات . كان كلامي صرخة في واد لم يسمعها من حملة الرسالة الجديدة الا الشاعرة ملك عبد العزيز . وقد قررت ان توفر جهودها لما هو اجدى وانفع وان لاتعود الى مناقشة هذه المسائل بعد ان صبت سخطها وغضبها على صاحب هذه الكلمات لانه سفه نظريات الدكتور محمد مندور في العروض العربي . ولكن اين الرائد صلاح عبد الصبور في هذه المعمعة ؟ لقد اثر الصمت ، اثر ان يكتب الشعر فقط ويكرر نفس الاخطاء ويبتدع مزيدا منها . وازاء هذه اللامبالاة لاستطيع ان اقف موقف المفسر لما تجود به القرائح من شذوذوانحراف. وعلى صلاح وغير صلاح ان يدركوا تماما انه من العار ان يدعوا الريادة في فن لايملكون اولى ادواته . هذا ماتثيره قصيدة « الظل والصليب» في نفسي من الناحية العروضية ، وهذا ماكان ينبغي ان تثيره في نفس الناقد فضل الامين ، فليس يكفي ان ننشر الملاحظات هنا وهناك وندعي اننا نقاد ، ونسخر من « شيوخ الادب ونوابغ العصر » الذين تحدث عنهم الناقد في مطلع مقاله متوقعا ان يتذمروا ويعلو ضجيجهم لانه امتشق القلم وخاض الميدان . قليلا من التواضع ، وقليلا من الجهد والمعاناة . ولا يكفي ايضا ان يقول الناقد انه لايعرف وزنا لهذين البيتين اللذين وردا في قصيدتي « اسطورة » :

« .. ماساتكم لن يستطيع ان يشق ليلها مصباح .. » (1)
جوعان ، زيته سينتهي مع الصباح . »

فهو بذلك لم يفعل الا ان يقرر عدم معرفته ، ويثير هالة من الشك حول مقدرة صاحب القصيدة . وانا ابادر فاعرف الناقد ماغاب عنه . القصيدة من بحر « الرجز » وتقطيع البيت الاول :

ماساتكم / لنيستطيع / عانيشق / قليلها / مصباح .
ووزنه : « مستفعلن / مستفعلن / مفاعلن / مفاعلن / فعلانْ
وتقطيع البيت الثاني : « جوعانزيْ / تهاسينْ / تهيمعصْ / صباح /
ووزنه : مستفعلن / مفاعلن / مفاعلن / فعولْ /

فهل يدلني الناقد على شيء في هذا التقطيع يشذ عن الرجز ؟ وبينما نرى الناقد يقر بعدم المعرفة ! اذا به يخطيء الشاعر خالد علي مصطفى في المقطع التالي : « ان شراعنا يشق بحره نزوع » ويقول ان « ان » تنحرف بتفعيلة البيت عن مجراها العروضي . والمجرى العروضي هذا اصطلاح غير علمي . وتقطيع البيت :

« انتشرا / عنايشقْ / قبحرهو / نزوع /
ووزنه : مفتعلن / مفاعلن / مفاعلن / فعولْ
فالبيت صحيح اذن ، ولم يقل احد ان « مفتعلن » لاتدخل الرجز .

(1) وقع خطأ مطبعي في الفعل « يعشق » وصوابه « يشق » وهو خطأ يسهل كشفه اذ ان المطلوب – كما يظهر من سياق القصيدة – ان يشق المصباح ليل المأساة لا ان يعشقه . وهذا الخطأ ليس هو السبب في غموض الوزن على الناقد لانه وارد في بيت واحد من البيتين .

وانما كرمز لقوة خفية تنضح بالشر . ويكون قتل الكلب الاسود قتلا للنبوءة المخيفة ، واقصاء لقدر الجفاف وندرة الامطار . ولعل الكاتب قد تعمد ان ينهي القصة بذكره لنهر الفرات كدليل على هذه الفكرة الاخيرة .

هذه القصة تشكل أمثولة طيبة من حيث التركيز ، والعمق الناتج عن المزج بين الواقع والخيال . واخيرا من حيث استخدام الحلم مبررا منطقيا لعمل مؤثر أختتمت به القصة وهو القتل ، كحل رمزي لمشكلة طابع غيبي عام .

وان ما في القصة من الصدق والشفافية قد اضفى عليها هالة من الشعر الهادىء الذي يبشر بتمكن في هذا اللون من الكتابة . واعتقد انه لو توفر للقصة اسلوب اكثر دقة وتقنية ، واشد احتفالا بالظلال.. وبالتركيب العضوي للصورة ، والشخصية الانسانية المتميزة ... اذن لقدمت لنا بحق عالما فنيا غضا لانحتاج في تسلق ذراه الى ان نتوكأ كثيرا على الاخرين .

دمشق

خلدون الشمعة

واخيرا ارجو من الاستاذ فضل ان يتذكر معي ان نازك الملائكة قالت مرة ان اتهامها بالخروج على الوزن يثيرها جدا وانها لاتهـــدأ الا اذا اقتنعت بخطئها او نفت التهمة عن شعرها . وارجو منه ان يتذكر معي ايضا ان احسان عباس قال مرة انه لايطمئن الى ناقد للشعر لايعـرف الكثير من اسرار النغمات العروضية . وما قالته نازك هو مانريده مـن الشعراء ، وما قاله احسان هو مانريده من النقاد ؟

الحساني حسن عبد الله

تجهيل الاخرين ...

بقلم محمد دلبرين

يفاجأ القارىء حقا عندما يقرأ كل هذا الكلام الكثير الذي كتبه السيدان : هشام الكاملي ، ويوسف الاصفر ، عندما يعلم انهما كتباه نقدا حول كلمات وردت اثناء كلام لي عن موقف بعض الادباء الذي لا يليق باصول النقـــاش العلمي ، وعن بعض الادباء الذين لا يتحملون بصدر رحب الهادف الى اظهار قصور العمل الادبي واخطائه .

وقد دهشت ايضا لذلك ، فان ما كتبته لم يكن نقدا كاملا ، او دراسة محيطة لرواية « جيل القدر » . وما اظن ان السيدين الا قـد اخطأا فهم ما كتبت خطأ اوقعهما في تجزئة فكرية ، لم يستطيعـــا معها الا ان يريا « اللون الاحمر المهيج » فحسب فيما كتبت . ولـــو انهما كانا اكثر اناة لعرفا ان ما اوردته من « ملاحظتي » تلك هو هـــذا الذي انقله هنا بالحرف الواحد :

« اما الاولى فهي عن هذه « المناقشات » التي تنشر في باب هام من ابواب « الآداب » « مسمى » باسمها . ولا ينكر قارىء ما بأن هذه المناقشات اذا اريد بها وجه الحق فهي من انفع الاشياء تثبيتـــا للصواب وتزييننا للباطل ، ولكن فريقا من الادباء انحرفوا بهذا المفهوم او القصد الذي وضع الباب اصلا من اجله فاخذوا ينتصرون لانفسهم ولو كانوا على خطأ او ضلال ، بل لا يتورع كثير منهـــم عن الفخر والطعن بل والسباب الصريح احيانا اذا لم يستطع ان يعثر على الحجة او البرهان » . اذن : ان ما اردت لم يكن الا بيان ضيق صدر بعض الكتاب عندما يقفون امام نقد يتناول اعمالهم الادبية ، وخاصة اذا كان « نقدا » حقا ، ولم يكن « تقريظا » او « اعلانا » عن الكتاب ، وذلك بعرضه عرضا يغطي على عيوبه وآفاته . وقد احلت القارىء ـ اثباتا لهذا الكلام ـ الى باب « مناقشات » من الاعداد السابقة من « الآداب» بينما اكتفيت بتقديم الدليل من العدد الاخير وكان فيه ـ مصادفة ـ هجوم عنيف من الاستاذ مطاع صفدي على الناقد الاستاذ « عبد المحسن طه بدر » ، وقد اتهم الاستاذ مطاع ناقده : بقصور النظر ، وسوء الفهم ، والتحامل ، بل انه تساءل في مودة فيمـــا اذا كان النـــاقد يكن له عداوة شخصية (!) . ولم يكتف بذلك بل قد اضاف بأن الاستاذ « طه البدر » كاتب مغمور لم يقرأ له الاستاذ مطاع شيئا على الاطلاق سوى ذلك المقال النقدي ، او كلاما هذا محصله ، ولم ينس ان يمـز الاستاذ « طه البدر » في اتجاهه العقائدي فاشار في بعض كلامه الى « ماركسية » الاستاذ « طه البدر » . (ولا ندري كيف الهم الاستاذ هذا ، وهو لم يقرأ للاستاذ طه شيئا ذا بال كما ادعى) .

وقد كان هذا الكلام يدين الاستاذ مطاع صفدي بلا شك ، فقد كنا نتوقع منه موقفا اكثر جدية وتماسكا ازاء ناقده الذي قال كلمته صريحة في روايته .

ولم يكن تعقيبي على كلام الاستاذ مطاع الا بيان « فساد » هذه النظرة التي تجعل من « تحقير » الناقد « هدفا » « لهدم » آرائـــه واقواله ، وعدم تجريد النقاد ـ بمجرد الا تعجبنا اقوالهم ـ من النية الحسنة وصحة الفهم . بل كان في الحقيقة رجاء (!) الى الكتاب ان يكونوا اكثر روية وضبطا للاعصاب فلن تخدم المهاترات والسبـــاب والتجريح قضية الادب بحال . وقد قلت هذا بالحرف الواحد : « ونحن نرجو من الاستاذ مطاع الا ينتظر اكثر من ذلك من القراء (أي المواقف المتعارضة التي يقفها ازاء روايته القراء والنقاد على اختلاف مستوياتهم الفكرية) . اذ ان هذا شان الناس جميعا وفي كل بلد ، واما اذا كـان يريد « الاجماع » على استحسان روايته فذلك ما تظفر الكتب السماوية وحدها به . وكذلك تعرضت بالاضافة الى هذا لكلام الاديب الاستاذ فاضل السباعي عندما اخذته « الحدة » في رده على الاستاذ « عبد اللطيف شرارة .» واعتقد ان كل هذا واضح ومفهوم لكل القراء الذين لم يتعجلوا وينفعلوا انفعالا خاصا يحملهم على الاعتقاد بان تلك السطور المتواضعة عن « مناقشات الادباء » انما هي نقد « كامل !! » لرواية تقدر بستماية صفحة (يبدو ان عدد الصفحات له تأثيره النفسي على بعضهم في تبيان ضخامة العمل الادبي وروعته) ، وما قلته عن الرواية لم يكن الا بعض المآخذ وقدمتها شاهدا على اختلاف وجهات النظر ، وكنت في الوقت نفسه ادرك عاطفة الحزن المرير في مطاوي كلام الاستاذ مطاع صفدي لاهمال بعض الناس شان روايته . ورجوناه الا ينتظر اكثر من ذلك من الناس .

ولهذا ظهرت حيرة السيدين (الكاملي والاصفر) وبان اضطرابهما جليا اذ ارادا ان ياخذا ما كتبت (نقدا) يقصد به تقويم الرواية ، فالسيد هشام الكاملي يقول : « ولو كانت تلك النقطة اكثر صفاء لكنـا في هذه الحـالة نستطيع ان نمسك بطرف الخط الطويل الذي سـار عليه ، بدل ان نقرر في ثقة بان النية الحسنة ليست متوفرة لدى السيد دلبرين على الاطلاق ». والسيد الاصفر يقول « وقد لفت نظري فعلا اننا وصلنا الى النقطة التي اصبح العثور معها على اساس ضابط لاكثر الاحكام والملاحظات غير المبررة التي اوردها السيد دلبرين ضربا من المستحيل » ويتساءل السيد الاصفر قائلا : فما هو السبب في ذلك ؟ هل يكمن السبب في أن ثمة دوافع خاصة تملي على البعض ان يفتعل ابدا ازمة كهذه تتبعها ازمات اخرى دونما توقف ؟ . » والسبب الذي ارادا معرفته هو بسيط جدا ، فقد فصل السيدان الكلام الوارد عن الرواية عن اطاره واعتبراه نقدا موجها بالاساس الى الرواية او انني قصدت الى « تجريح » من يحبان ، وانني اتســـاءل بدوري : متى سنرتفع بتفكيرنا عن اعتبار رأي من يخالفنا في النظر « تجريحا » وتفرضا ؟ الام سيظل النقد وقفا على جماعـــات يجيدون التلاعب بالالفاظ والعبارات ؟؟.

ان ادنى نظر وابسطه يلقيه القـــارىء على مـا كتب السيدان الفاضلان يريه راسا العبارات المثقلة بالشتائم والتهم التي يكيلهـــا السيدان جزافا ، فالسيد هشام الكاملي يقول تعليقا على كلامي « واما اشخاص الرواية الذين وصفهم الاستاذ مطاع بالثورية فاننا ناسف اذا قلنا : لقد رأينا امثالهم كثيرا .. وهم لم يروا وجه الشعب الا من خلال زجاج مقهى معروف في دمشق » يعلق السيد الكاملي على هذا الكلام بقوله : « يبدو ان السيد دلبرين من الصغر بحيث لم يكن بوسعه ان يشارك الشباب الثوري كفاحهم ومقاومتهم . او انه من الذين لا يهمهم من امور البلاد شيء .. اتولى امرها رجل فاجر .. ام رجل وطني مخلص » . هذا الكلام اترك لقراء « الآداب » ان يحكموا على الطريقة التي استنبط بها من الكلام السابق ، وانا اســـال السيد هشـام الكاملي : كيف حكمت على رجل ـ رجما بالغيب ـ وانت لا تعرف عنـه اي شيء مطلقا بانه رجل (لا ابالي) لا يهمه من حكم البلاد من العباد ؟! وكيف عرفت انه من الصغر بحيث لم يكن بوسعه ان يشارك الشباب مقاومتهم وكفاحهم ؟. (كان الاجدر به ان يسرد طائفة من نضالياته في ذلك العهد بدلا من هذا الكلام) .

واما السيد الاصفر فقد استخدم كلمة لي اسوأ استخدام فـي كلامه ناعتا اياي « بالقارىء العادي » وانا لا ارفع عن هـــذا اللقب مطلقا ، واعتقد انني قارىء للادب وساظل كذلك ، ولن اطمح في يـوم

من الايام الى ان اكون « روائيا فيلسوفا » ، او كاتبا له « اتبـــاع » يغارون عليه ، ويدافعون عنه ، ولكنني أحب ان اهمس في اذن اخي الاصغر هذه الكلمات : « ألا تعتقد معي بأن اكثر ادبائنا قراء عاديون في مكتبات الغرب ، وضيوف على موائده الفكرية ، وان كثيرا منهم ايضا ضيوف غير كرام ـ مع الاسف ـ مصابون بمرض السرقة ، اذ سرعان ما يدسون في جيوبهم ما استحسنوه ثم يعرضونه في بيوتهم على انه ملك لهم ، مستغلين في ذلك جهل القارىء العربي للفـــات الاجنبية ، وتساهل النقاد ، او غفلتهم وانغماسهم في جدال بيزنطي عن (الشكل والمضمون) ، او مجاملتهم في اغلب الاحيان . الا يعتقد أخي معي بأن مصيبة الادب العربي منذ اقدم عصوره حتى اليـــوم هي في هؤلاء المجاملين المداجين ؟؟.

ذلك لان الكاتب الحقيقي ، لا يحتاج الى اتباع يحسنون تسليط الانوار عليه ، او يقومون بعمل شبيه بعمل قطعات « الهندسة » فـي الجيوش المحاربة المنحصر في تمهيد الطريق وتسويته لتبلغ المجـــد باوجز مدة مستطاعة وأقصرها .

وساتجاوز عن سرد الشتائم الاخرى التي اوردها السيدان مـــن (تجهيل ، وتحامل ، وغل .. الخ) فقد كانا في غنى عن ايراد ذلـك الى فكرة جديرة بالنقاش ، وهي قضية « التشابه » في العمـــل الادبي او « تطابق » المواضيع والى اي حد يمكن معه ان تسمى « نقلا » او « سرقة » على الاصح . والسيدان يحيلانني على الادب الامريكـي ، ويفتحان عيني جيدا على اسماء كتاب تشابهت مواضيعهم (وان لم يبينا كيفية هذا التشابه اذ تركناه في صورة غائمة او زئبقية ، وبالمناسبة اشكرهما على تنبيهي ان هناك في الدنيا ادبا « امريكيا » وان هنـــاك كتابا مثل تنسي وليامز ، ارثر ميلر ، هنري ميلر وغيرهم فقد كنت قبل ذلك اجهل هذا) .

• والامثلة هاهنا قد توضح الى حد ما الصورة التي اعد معها التشابه « استخداما »كما عبر السيد الاصفر : هناك موضوع عام ، نهل منـه سائر الروائيين ولا يزالون ، وهو موضوع « الحب » ومع ذلك فلن يتمكن انسان ما بمجرد ان تمر معه صور لعاشق ان يهتف بملء فيـه « هذا روميو » او ان ذاك نسخة طبق الاصل عن الطيب الذكر « دون جوان » . اي ان هناك فرقا شاسعا بين التشابه العارض الذي لا يمكن ان يؤاخذ عليه اي كاتبين اذا صدرا عنه ، وبين التشابه العميق الذي يحتاج الى وعي ومهارة لكشفه وبيانه . فلا يكفي لانسان ما ان يعيد تأثيث غرفة على شكل آخر ، ويصبغ الستائر بلون مغاير لسـابقه ثم يفرك يديه مزهوا قائلا : انظروا الى ابداعي و « خلقي » . وقد دلل السيد الكاملي ـ في اختلاف سلوك ابطال كامو في « العادلون » عن اشخاص جيل القدر ـ بأن هذا الاختلاف في المصائر كاف لنفي عملية « الصبغ ، وتغيير الماركة » . واقول للسيد : الا تعتقد بـان فكرة واحدة اذا كتبت بأسلوبين مختلفين تعتبر من انتاج قلم واحد ؟! او ان الذي لا يجيد عملية « الصبغ » يعد من السذاجة بمكان يستطاع معه وضع اليد عليه بسهولة متلبسا بالجرم المشهود ؟؟. ولي كلمة اخرى عن « كلمتي السيدين » وهي اتباعهما مخططا معدا بعناية ، فقد جاء كلام كل واحد منهما متمما للاخر ، أليس في هذا ما يثير بعض الشكوك ؟؟ ارجو الا يغضبهما هذا الكلام فانني لم انفـرد بملاحظـة هذا فقد لاحظه الكثيرون .

وشيء آخر .. هو طريقة « التهويل » التي اتبعاها ، يقـول السيد الاصفر : « كيف تجيز الآداب نشر حكم خطير كهذا الذي يطلقه السيد دلبرين بان ثمة استخداما لبعض ابطال « العادلون » في رواية جيل القدر حتى ولو كان الرأي صادرا عن قارىء ؟ » . واحب ان انبه السيد الاصفر بان ثمة نقصا في المعنى في عبارته اذ اغفل العبارة المشهورة التي تناسب الحـــال ، وهي « الضرب بيد من حديد على امثال هؤلاء » حتى تستوفي الجملة معناها .

ولي رجاء الى القراء الذين هم على شـــاكلة السيدين الكاملي والاصفر ، بالا يحجروا الفهم عن الذين لم تطربهم هذه « السيمفونية » ويخرجوهم من زمرة « العاقلين والفاهمين » او كما قال السيد الكاملي : « لماذا لا يحاول السيد محمد دلبرين ان يعيد قراءة جيل القدر مـــن جديد ؟ واذا عجز عن فهمها ثانيـــا فاننا نستطيع عندئـذ ان ندين ثقافته » . لقد ضيقت واسعا يا اخا العرب .

وبعد : اذا كان الكاتبان الفاضلان يعتقدان ان بيت الاستاذ مطاع صفدي من « زجاج » فما هو ذنبنا نحن ... يا ترى ؟.

دمشق — **محمد دلبرين**

صـــدر حديثـــا

سعيـــد عقل

YAIRA

اول كتاب لبناني بالحرف اللاتيني

منشورات مكتبـــة انطوان

« جيل القدر » .. واداب النقـــد

بقلم هيثم محمد العمر

بالرغم من تتبعاتي لكل ما يكتب فـي ابواب المناقشات منذ زمـن طويل ، وفي مجلات عديدة ، لم اشعر بارتياح ، كذاك الذي شـــعرت به حين قرأت كلمة السيد « محمد دلبرين » واحسسته بانه عبر عـن كثير من ارائي وخواطري .. كان هذا في الوقت الذي كنت احس فيه بضيق شديد وتأفف من هذه الاحوال التي وصل اليها النقد ، اذ كنت احس ان بعض الكتاب في مناقشاتهم قل ان يبغـوا الحقيقة وانما كل همهم ان يقولوا ما يرون انه يسكت خصمهم ســواء كان حقـــا ام باطلا ، وسواء كان تادبا او تحقيرا وازدراء .

أما كلمة السيد دلبرين فقد حاولت ان اجد فيها ما يدل عـــلى ان صاحبها ينزع الى طائفة من الناس ، او الى اتجاه نقدي خاص ، يبغي من كلمته تشويش جماعة اخرى ، او تشويه اثر ادبي ، لكننـي لم اظفر ، وكل ما وجدته فيها انها كلمة طيبة صدرت من قاريء متتبع على ما يبدو ـ اذ لم اقرأ له من قبل شيئا ـ ساءه ان تتردى المناقشات

الادبية الى وسط ليس من طبيعتها ان تهبط اليه الا حين يتسلم زمامها من لا يحسن قيادتها .. وساءه ان تقوم الاثار الادبية بشهادات الاتباع وعن طرق الدعاية ، وساءه ان يدافع عن هذه الاثار باسلحة رخيصة ، قوامها التجهيل ، واساءة الظن ، والاستخفاف بمن يتصدى لنقدهـــا والازدراء به وبثقافته ، وتحليل الاثار تحليلا لايتفق مع شكلها الذي ظهرت فيه ، ونسبة الابداع الى الوهمات والرمزيات المغلفة التي هي بهدر المحمومين اشبه .

هذا ماتدل عليه كلمة المسكين « محمد دلبرين » الذي اوقـــع نفسه ، وربما كان في ظنه ان تلقى هذه الكلمة صدرا رحبا ، وتقبـــلا مشكورا ، وصدى طيبا في نفوس من اشار اليهم ، لانها تعبر لـــهم عن الحقيقة التي كانوا يشعرون بها وهم يكتبون ما كتبوا مـن نقـــد وتعليق .. ولا ادري كيف لم يفهم قصده على الوجه الصحيح ، فقـد راعني ان تظهر (الاداب) وفيها كلمتان من دمشق تصدران عن شـــيء من الحقد ، اقول هذا وانا اعني ما اقول : والا فما معنى هذا الاسلوب الرخيص ، ما معنى هذا التعالم والاستاذية ، وما معنى هذه الاتهامات المتتابعة . وما معنى هذه الارهابية التي يريدها السيد «يوسف الاصفر» ايريد لمجلة الاداب ان تمنع قراءها من ابداء الاراء التي لا تتفق مع ارائه؟ أيريدها ان تكون مجلة فئة خاصة لا تحب ان يعيش غيرها بجانبـها ؟ أيريدها ان تخصص صفحاتها لالعابهم البهلوانية فقط ؟!.. واحد يهذي ويدعي انه يكتب بالاسلوب الرمزي ، واخر يكشف بعصاه الســحرية هذه الرموز والالغاز ، التي لا يمكن لامثالنا نحن ان نـدرك عمقهـــا وانفتاحاتها الجانبية ، وزواياها وتغلغلاتها .. والاخرون يصفقـــون ويهتفون للعبقرية والعباقرة .. اذا اراد السيد « الاصفر» ان نقـول الحق ، فانني ما اكاد اقرأ شيئا من هذه الاثار وتعليقات الزملاء والاتباع عليها حتى تقفز الى ذهني صورة الحفلات الانتخابية التي كانت تقام «أيام زمان» على حد تعبير اخواننا في الاقليم الجنوبي، ومنظر اصدقاء المرشح وهم يكشفون للناس حقيقته التي لا يعرفها عبادالله، وكيف انه من اول الوطنيين الذين باعوا ونذروا كل شيء للوطن ، وانه يتمتـــع بكفاءة ومقدرة وثقافة ونبل واخلاق ومروءة الخ.. اما عبقريته فـــلا تداني .. ثم يعقب ذلك التصفيق الشديد من الاتباع والتلاميذ ... ويتعالى الهتاف .. وتدور الاواكب ، والويل لمن لا يتابع التـــيار ، او يدعي ان مرشحا اخر له ميزات ايضا ..

ان التجريح الذي احس السيد « الاصفر » به ليس الا كلمة هادئـة قالها متادب يتذوق ادب هذا وذاك ، ولا يهمه ان يكون هذا او ذاك ، الاديب الاكبر ، او الاعظم ، وانما يسوءه ان تكون ساحة الادب مجـالا للتشويش والقذف بالعبارات الخشنة التي لا تصدر الا عن جفاف ورغبة في العراك .. ان كلمة تقال من اجل الحق ، تعتبر تجريحا يجب ان يغلق الباب في وجه صاحبها ، اما الكلمات التي تقطر سما زعافا وحقدا شائنا فتلك نقد ادبي موضوعي على مستوى عال لا ترقى اليه افهـام من يتصدون للنقد هذه الايام ..

اما السيد « الكاملي » فيبدو انه فتى ناضج من « جيل القدر » وانه عاش فترة عهد « الشيشكلي » وشارك في الثورية الحالمة وانه لم يكن « من الصفر بحيث » يقصر عن مشاركة « الشباب الثوري كفـــاحهم ومقاومتهم » وانه درس الادب الامريكي واطلع على نوعية الموضوعات التي يشترك فيها الروائيون الامريكيون . فلتهنأ امتنا بهذا الجيل الذي اوصله الاستاذ مطاع الى ان يكون المعبر عن الانسان العربي المعاصر الذي يعمل من اجل الوحدة الشاملة وهو في اباحيته ، وتهالكه في القضايا الجنسية ، او في احلامه التي تعصف برأسه على اثر الكاس ... لبيك يا فلسطين فقد انتصر جيل القدر !..

يحكم السيد « الكاملي » على السيد دلبرين « بالجهل المطلق في كل ما يمت الى الحقائق الادبية الراهنة بصلة » ثم يطلب منه اخيرا ان يعيد قراءة جيل القدر فان لم يفهمها ايضا فالسيـــد « الكاملي » حاضر لان يدين ثقافته التي لم تستسغ هذه الرواية .. ثم يحيله لقراءة ما كتب حول الرواية ويكاد القارىء يحس بالتوسل والدعابة في كلام السيد « الكاملي » .. وكانه يقول : انت جاهل لا تفهـم ومع ذلك ، اقرأ فان فهمت فانت من صفنـــا وجيلنا وان لم تفهم فاستعن بهؤلاء الذين اعرف منك واقدم خبرة في آثارنا .. وانا انصح السيد دلبريـن فلعله يغدو عالما بعد جهل ، وعبقريا بعد « صفار » .. ما اخلـــص هؤلاء الاتباع الى سادتهم !

ان السيد « الكاملي » كتب في كلمته : « الاستاذ مطاع .. السيـد عبد المحسن طه البدر.. وربما قيل انه يجهل هوية الاستـــاذ البـدر لكن من يصم الناس بالجهل لا يكون الا عالما .. والسيد « الكاملي » يعرف الاستاذ البدر، ويعرفه ممن لا يفترض فيهم ان يرتفعوا بنقدهم عن مستوى الاهواء الشخصية » ومستوى الاهواء الشخصية هذا حين يخالف الاستاذ البدر احكام جيل القدر على روايتهم ، ويبين ما فيهـا من عيوب تبدت له ، فيكون جزاؤه ان ينتكر له الاستاذ مطاع ، ويبدي استغرابه له . ويصفه بأبشع النعوت . ثم يأتي افراد جيل القـــدر فيطيعون استاذهم ومربيهم ومتعهدهم بتجريد البدر من الاستاذية . لكن الحق يفلت من لسانهم فيعترفون بانه ناقد معروف ، وان كان ذلك في معرض ذمهم له، وأنه لم يرتفع عن مستوى الاهواء الشخصية .. أفليس من العجيب ان يردد الاستاذ ان هذا البدر رجل مجهول لا يعرفه ولم يسبق ان عرف له آثارا ادبية ، ثم يبدو على تلاميذه أنهم يعرفونـه معرفة جيدة ، ولكنهم كانوا يأملون ان يكـــون في صفهم ، سائرا في موكبهم ... ان انكار الاستاذ مطاع للاستاذ البدر لا يضعف من قوة الاحكام النقدية التي اطلقها على جيل القدر .

ونحب أن نقول للسيد « الكاملي » ان ما سماه تعليقا من الاستـاذ مطاع على نقد الاستاذ بدر لا يعتبر تعليقا بالمعنى الصحيح ، اذن ان التعليق انما يكون لتوضيح نقطة كانت غامضة على الناقد فأوقعته في خطاه اما ان يكون التعليق قريبا من الشتم فهذا شيء لا ترضاه النفوس الكبيرة الطافحة بالحب ، الهادفة الى توضيح الحق .. لقـد تـأثر الكثيرون من كلمات الاستاذ مطاع الغاضبة فما معنى أن يوجه له مثل هذه العبارات « وتعامى الناقد .. في هذا المقال اليتيم .. هذا الناقد العصري .. فلو ان هذا السيد كان من مصاف الادباء .. بحران ادبنا العربي ونقاده الاشاوس .. لو كان الناقد متقنا حتى قواعد كتـــاب النقد المدرسي ... هكذا يكون الفهم والمعلمية النقدية يا سيد طـــه أليس كذلك .. لكم غالط طه البدر عمدا او جهلا .. الخ..» مـن العبارات التي تدل على ان صاحبها كتبها وهو مشحون بالغضب ؟ مع ان الخير له ولادبه لو كان تعليقه اهدأ قليلا ، ومناقشته للمآخذ التي ارتآها الاستاذ البدر بالتي هي أحسن .. وقد صدق السيد دلبرين في تعريفه لجيل القدر بأنهم اولئك الذين لم يعرفوا وجه الشعب الا من خلال زجاج المقهى المعروف ، هناك على مقاعدهم يتحدثون فيقضايا ومسائل لا يفهمها هذا الشعب ، ويرسمون له الخطط والمناهج الخيالية، ثم يلقونها الى بعض الغوغاء الذين منطقهم التشويش والتبجح بالالفاظ دون عمل مجد . ونضيف نحن الى ملاحظة السيد دلبرين بأننا عرفنا ايضا كثيرا من أشخاص الرواية ويؤسفنا ان نقرر بأنهم شباب ثوري فعلا ، لكنها الثورة التي تعتمد على التمثيل اكثر مما تعتمد على الايمان بمبدأ والدفاع عنه .. الثورة التي تجعلهم يتصرفون دون ان يعـــرف القصد الذي يهدفون اليه .. الثورة التي تجعلهم يحقدون على كل من يعمل في حقلهم او حقل اخر ، وكل همهم ان يقال انهم فعلوا كل شيء، وأن الوطنية وقفعليهم.. لا نريد الافـــاضة في وصفهم لان كل من خالطهم يعرفهم حق المعرفة ، واحسب أن اكثر القراء من الاقليم السوري متتبع لاحداثهم كما ان القراء في الاقطار العربية الاخرى لا يمكن أن ينسوا هذه الفترة التاريخية ، ولا نريد ان نشير بأن جيل القدر طالما هادن الدكتاتور في مبدأ امره .. وما اظن النزاهة التي يتحلون بهـا ترضى لهم أن ينسبوا لانفسهم وحدهم شرف مقاومة الدكتاتور ، الذي هبت في وجهه طوائف وطنية مختلفة الاتجاهات .. وعقدت عدة مؤتمرات سرية بين عديد من الشباب للتداول في كيفيـــة القضاء على الحكم الاستبدادي .. وفي سجن المزة الذي عرفه ابطال جيل القدر ولا يزالون

يتبجحون بانهم دخلوه .. لا نراهم يتحدثون عن الاخرين فيه . فلا يخبروننا الا عن الجهلة وافراد العصابة الماجورة ، اما بعض العناصر الوطنية التي كانت تلاقي اشد انواع التعذيب والاهانات فلم نسمع عنهم شيئا .. ان ما نبغيه من جيل القدر ان لا ينسوا الانصاف حين يتحدثون عن الحركات التحررية، وثورات الشباب ، وحين يتحدثون عن الادب والادباء ، كما نبغي منهم ان يكونوا منطقيين لان الشباب الذي يعيش هذه الحياة الماجنة لا يمكن ابدا ان يكون مثالا للبطولة التي تنقذ الامة العربية .. ان هذه الثورية العربية بعيدة كل البعد عن افق النفس العربية ، يمكن ان يسمى هؤلاء الابطال ثوريين وان يحققوا ما يشاؤون بهذه الثورية ، اما ان نسمي هذا ثورية عربية فما اظن نفوسنا تقبل .. ان صفات وملامح هؤلاء الثوريين لانلمس فيها سمات العروبة وما اصدق الاستاذ البدر حين قرر بان الاستاذ مطاعا لو لم يسمهم اسماء عربية ويتحدث عن اماكن معروفة في دمشق لما عرفنا انهم من ابناء امتنا المتقدمين لقيادتها ، ونحن قبل ان نراهم في رواية الاستاذ مطاع كنا ننكر عليهم هذا الانسلاخ من كل صفات العربي ، وانجذابهم الى الساحات التي تفوح منها روائح التخدير ، وخلعهم على بعضهم ثياب البطولة في شتى الميادين .. والان وبعد ان عرف القراء هؤلاء الابطال أيصدقون أنهم اهل لتحقيق هدف العرب الاكبر ؟ أيصدقون انهم ينزعون الى العروبة في كل مشاعرهم ؟ ان السيد « الكاملي » يدين ثقافة السيد « محمد دلبرين » لانه لم يفهم الرواية على الوجه الذي يريده ابطالها ، ويشير اليه بانه لو قرا الادب الامريكي لهاله ما هال السيد « الكاملي » من اتفاق الروائيين في نوعية المشكلات ، وزال ادعاؤه بوجود الشبه بين « جيل القدر » و« العادلون » لانه « ما من كاتب على الاطلاق الا ويتفق مع كاتب اخر في نوعية المشكلات » هذا صحيح لا ينكر وليس من عيب على الكاتب ان اشترك مع غيره فيعرض مشكلة ، لكن المشاكل تختلف زمانا ومكانا ، فحين يتفق كاتبان في زمان ومكان معينين ، لا شك انه قد تبدو وجوه عديدة للشبه بين ما يطرقان من مشكلات ، وما يصلان اليه اخيرا .. فليس غريبا ولا عيبا ان يشترك الروائيون الامريكيون، او الفرنسيون، او الروسيون، ذلك لانهم يعيشون بيئة واحدة تؤثر فيهم وتوجه انظارهم بدرجة واحدة تقريبا ، اما ان يشترك الثوريون العرب مع « كامو » في مشكلة واحدة، ويتبعوا خطاه في عرض المشكلة، فهذا يتنافى مع العبقرية والابداع بالفتح الجديد في الحقل الادبي .. واعود لاقرر بانه قد يعجب كاتب في اية بقعة من بقاع الارض بكاتب اخر في بقعة ثانية ، ويترسم خطاه ، لكنه لا يلبث ان يشق لنفسه طريقا جديدا تبدو فيه اصالته ، كما انه لا ينفك يعترف بالفضل لاربابه ، وقد صرح عدد كبير من ادبائنا اثناء احاديثهم الخاصة بتاثرهم باديب او اكثر من غير الادباء العرب .. ومع ذلك فلا يعدو التاثر خطوة البدء او رسم المنهج ، ثم ترسم ملامح ابطال الرواية، وتسرد الحوادث فننسى صاحب الخطوة الاولى ونعيش مع الاديب الاصيل ، نضرب مثالا على ذلك بالروائي العربي الاول الاستاذ «نجيب محفوظ» حيث جاء في مقالة الاستاذ الدكتور « محمد غنيمي هلال » المنشورة في عدد الآداب « النقد الادبي » بعنوان « هل لدينا مذاهب ادبية » بان الاستاذ محفوظ في نزعته الواقعية متاثر بالكاتبين الانكليزيين « ارنولد بنت » و « جالسورثي» ، فمن منا ينكر على الاستاذ « محفوظ » هذا التاثر ؟ ذلك لانه ابدع في انتاجه لدرجة انه لا يمكن لغير المتخصص ان يلمح ذلك التاثر . اما ان نتاسى خطوات كاتب ما اعجبنا به لدرجة ان تكاد تختلط احداث روايتنا بروايته، فهذا ليس من الاتفاق « المطلق » في شيء وانما هو عجز عن اللحاق بالركب ، وليس يرفع من شان هذا العجز اتهام النقاد او المعلقين بالجهل ، واتهام القراء بعدم الوصول الى مستوى الرواية وعمقها . لم يكن السيد « دلبرين » وحده الذي قرر وجود الشبه بين ثورية « جيل القدر » و« العادلون » وانما قرر ذلك اغلب من اطلع على الروايتين، حتى ان من كتبوا عن « جيل القدر » لم يفتهم هذا ، كاشارة الاستاذ ابراهيم الناصر الذي لم يلبث ان فرق بين هؤلاء واولئك ، فتلقف ملاحظته السيد « الكاملي » وقدمها الى السيد « دلبرين » دليلا على انه افهم منه لانه استطاع ان يفرق بين الموقف الانساني والموقف الوحشي .

واود ان اسأل لماذا كل هذه الثورة على الاستاذ البدر واصحاب التعليقات التي لا ترضي جيل القدر ؟.. هل هذا من نوع ثوريتهم ؟ ارجو ان يكونوا اكثر هدوءا وتقبلا للملاحظات ، وان لا يتهموا غيرهم بسوء النية والقصد ، فانا والسيد « دلبرين » المسكين والاستاذ البدر واكثرية القراء والمثقفين نشارك اخواننا اعجابهم بالاستاذ مطاع صفدي وادبه ، ولكننا لا نتعامى عن الحق ، ونكره غيرنا ، وندعي لانفسنا كل الابداع ولغيرنا كل الفشل.. والملاحظات التي ابداها الاستاذ البدر على الرواية جاء كثير منها في دراسة الاستاذ اورخان ميسر والاستاذ ابراهيم الناصر ، ويكاد يتم الاجماع على ان الرواية اتصفت «بالشكلية الذهنية» ولهذا كان تدخل الكاتب في التحكم بالاشخاص والاحداث واضحا جليا مما امات الحركة في الرواية او ضعضع الحياة فيها.. وقد كنا نحسب ان الاسلوب النقدي الذي كان يتبعه الرافعي والعقاد قد مضى اوانه لكن الموقف الذي حدث بين الاستاذ البدر والاستاذ مطاع ، ذكرنا به واشعرنا اننا لا نزال نضيق بما يخالف رأينا ولو شعرنا انه الحق .. ان كل من قرأ دراسة الاستاذ البدر للرواية لا يشك انها كانت ناقصة لانها عرضت مثالب الرواية فقط ، الا ان العرض كان بلباقة لا تثير وانما تحتاج الى تعليق من نوعه يستدر الانصاف من الاستاذ البدر ليقول كلمة في مناقبها ايضا .. وبدلا من هذا هاجت ثورة الاستاذ مطاع فقذف ناقده بما اساء الى النقد وجعل كثيرا من القراء يميلون الى صف الاستاذ البدر في هذه المعركة لا لانه أصاب في أحكامه ، وانما لانه قوبل بما لا يستحق .

بقيت كلمة اخيرة .. اذا كان السيد « الكاملي » يدين ثقافة السيد دلبرين الامريكية فاننا نستطيع ان ندين ثقافته العربية وثقافة زملائه، ونلتمس منهم ان يدرسوا آداب امتهم ايضا الى جانب آداب الامم الاخرى ، اليس عجيبا ان نبدأ الاحاديث مع احدهم فياخذ في سرد المذاهب الادبية الاجنبية ، وأبرز رجالها ومؤلفاتهم ، وما يدور في تلك الاوساط الادبية من مناقشات ، واعتراضات ، وهذا امر عظيم وبشرى طيبة باننا فتحنا اعيننا لترى الاتجاهات .. ولكن المحزن ان نراهم يتعثرون في معرفة حقيقة الاتجاهات الادبية العربية، فلا يكادون يعرفون من الآثار الادبية العربية الا ما يصدر عنهم وعن مدرستهم ، وحين نسائلهم عن رواية او ديوان شعر ، يبدون استخفافهم بصاحبه ويدعون ان هذا لا يستاهل القراءة واضاعة الوقت .. وكم من مرة طرق اذني قول بعضهم انه لا يقرأ من الآثار الادبية العربية شيئا ! فهل هكذا يكون الاخلاص للامة العربية ؟ اما ادبنا القديم فعليه رحمة الله . حتى طه

صدر حديثا :

لهـاث الحياة

مجموعة شعرية وجدانية

للدكتور يوسف عز الدين

دار العلم للملايين

حسين والزيات والعقاد والعريان ليسوا بادباء فليعتبروا وهم احياء !! ان هذا التنصل من الثقافة العربية قد يصدر ممن لا يحس بعروبته ولا بالانتساب الى الامة العربية ، الا انه ما اظنه يصدر ممن يبني زعامة الشعوب العربية ويتقدم لقيادتها .

وختاما ارجو الا اكون قد أزعجت من لا يرى نفسه تستحق الازعاج، وارجو ان يعلم الجميع انني لا احقد على احد ولا اتعصب لفئة فانا ممن يلتمس الاعذار لكل انسان ، وممن يقرأ في شتى الآثار الادبية لا يهمه ان تكون لفلان او غيره من الناس ، ولكنه يثيرني ان ارى تنكبا للصواب وبعدا عن النزاهة والانصاف . ومعذرة من الجميع ، وتحية لكل من ذكرتهم .

حلب ـ هيثم محمد العمر

نقاط اتفاق .. ونقاط اختلاف

بقلم قدري مايو

لا احب ان يفهم الاستاذ الناقد انور المعداوي ولا غيره من القراء ان حديثي هذا الشهر نقدا او ردا على نقد . كما لا احب ان يروا فيه اطالة كلام في موضوع كثر عنه الكلام . فالقضية ليست اكثر من « دردشة » بيني وبين الاستاذ الكريم الذي سمح لي من وقته بما يستدعي الشكر حقا .

لست ادري لماذا شعرت بأن الاستاذ الناقد كان يتحدث الي وحدي في مقالته الراشدة التي نشرتها الآداب في عددها الماضي بعنوان « زوايا ولقطات » . ولقد تخيلت اننا تصافحنا على اتم وفاق عندما استهل حديثه باعترافه المريح « لست من انصار العامية » انا لست من النزق على أي حال لاقول: ها قد ألقى السلاح ، فالتفاهم في واد والمهاترة في واد اخر . وليغفر لي الاستاذ انني عرضت لهذا الشأن من الظن ، ففي كل يوم استيقظ على حلم مزعج من التراشق بما لا يليق بين هذا وذاك على مسرح صحيفة من الصحف او مجلة من المجلات . ولقد سرني اننا التقينا بالامس في غرة « زوايا ولقطات » لقاء طيبا ، فحق لي ان اتمنى لهذا اللقاء اليوم ان يكون مثمرا ، وان لم يكن ، فانا لاشك لحظة في انه منقض بسلام .

انه من المعقول ليكون الحديث مجديا ان ابدأ فأحدد موقفي من العامية والفصحى ازاء المضمون الذي اتفقنا انا والاستاذ المعداوي على ان نجعله حيا قويا على « تفجير طاقة القارىء الانفعالية » على حد تعبير الناقد الاديب . واذا جاز للناقد الادبي ان يستعيد طريقة العلماء في الشرح استطعت ان امثل العامية بشعاع من القوة يذهب يمينا ، والفصحى بشعاع آخر يذهب يسارا ، وبين الشعاعين في الوسط شعاع يمثل محصلة القوتين المتنافرتين ويعبر عن الواقع الذي نحياه ونعتد به في الانتاج الادبي . لقد يخطر للاستاذ المعداوي هنا ان يحتج بأنه لم يمثل العامية باتجاه والفصحى باتجاه آخر معاكس حتى أناقشه على هذا الاساس ، بل انه دعا الى الموافقة بينهما في القصة والمسرحية ما بين حوار وسرد لئلا يكون الاداء شكليا بدون مضمون وخاصة بالنسبة لرجل الشارع ونصف المثقف . وهو يسألني عما افعل كأديب اذا كنت واقفا على الشاطىء ، وانا اعلم ان رجل الشارع في القاع ، ويملي الجواب بنفسه : « لا بأس على الاطلاق من ان تهبط اليه لترفعه معك الى فوق » . ان الجواب سليم تماما من حيث المبدأ ، ولكن الا يحق لي كمتهم بمصير الغرقى ان ادعو لان يتعلم الناس السباحة ولان يسافروا في البحر على مراكب تعصمهم من الغرق الا اذا حكم القدر ؟! ثم ان كوني على شاطىء الامان وكون رجل الشارع في قاع البحر ـ باعتراف الاستاذ ـ ذلك مما يبرر مضي الشعاعين في اتجاهين متعاكسين يمينا ويسارا ما بين عامية وفصحى . وما الاتجاه الثالث بين الاثنين الا محصلة المحاولة الصادقة التي نبذلها معا لانقاذ الغريق . صحيح « اننا نعيش في عصر اصبح يطلق عليه عصر الشعوب .. الشعوب التي تكافح من اجل الحرية والبحث عن مجتمع افضل يليق بكرامة الانسان » انها ازمة انسانية مطبقة لا اجد حلا لها في مجتمعنا العربي الا على اساس تعريف الامة العربية بذاتها عن طريق التراث الذي رثيت له ان يموت في بطون المكاتب . الا يعدني الاستاذ المعداوي غريقا يجب انقاذه لو افترضت انني رجل مثقف قرأت مسرحية يوسف ادريس « اللحظة الحرجة » فشعرت بأنها لم تفجر في نفسي الطاقة الانفعالية لانها كتبت بعامية مصر وانا عربي شآمي ؟!.. أيرى من الاوفق ان تترجم المسرحية الى عامية الشام والعراق والمغرب حتى تحقق الاثر الانفعالي المرجو ؟ أم يرى من الاوفق لو كتبت بفصحى مبسطة في حوارها وسردها لتكون اثرا خالدا في مكتبتنا العربية من ادب الثورة ؟ ما هي الحكمة في ان نمتع المثقف بروائع شكسبير وغوابر أقيال العرب ونترك للرجل البسيط بساطته التي تحبسه عن آفاق اسمى ؟ ان « تمثلنا الفكري والوجداني للارضية التاريخية التي تجري فوقها الاحداث والشخصيات في مسرحية عطيل » وغيرها يصبح من نافلة القول الكلام فيه فيما لو كانت لغتنا الحية عامية مصر وحدها مثلا . ربما تطلب النقاد من المترجم آنئذ ان يتكلف اسلوبا ارقى ولكنهم لن يطلبوا اليه ان يجري الحديث بين « عطيل وياجو وديدمونه » بلغة اخرى غير اللغة التي تعيش فيهم ليكفلوا تمثلا فكريا ووجدانيا أكمل . واذا اتهمني احدهم بالمبالغة في التعبير بين عامية وفصحى للغة واحدة قلبت هذا الاتهام دفاعا ودعوت دعوتي الى رفع العامية الى مستوى الفصحى المبسطة التي تستخدمها الصحافة والاذاعة انقاذا من التردي فيما هو اسوأ بتحول اللهجات الى لغات.

ولعله من المفزع حقا ان يذهب بي الظن الى ان يكون يوسف ادريس قد اخذ بنظرية الاستاذ المعداوي فانطلق أبطال مسرحيته المصريين بعاميتهم وانطلق « جورج » العسكري البريطاني بالفصحى لانها لغة غريبة في اذن الجمهور المتفرج . ليته انطق الانكليزي بانجليزيته تمشيا مع الدارجة المصرية المشوبة بمفردات وتعابير انجليزية . ليته لم يزرع في النفوس الخام هذا الانطباع السيء بالنسبة للفصحى . ليس هذا التمني بأعجوبة الاعاجيب فان فيه اعتمادا على الانطباع المبهم المؤثر الذي يخلقه كلام الاجانب على الاجانب . ومن جهة اخرى ترى كبار الكتاب العالميين ينطقون أبطال رواياتهم بكثير من العبارات الفرنسية وهم يكتبون بالانجليزية مثلا .. وقد يستخدمون في بعض حواراتهم اللهجة الدارجة في مكان الرواية حفاظا على الانطباع التأثري للقارىء او السامع ولكنهم لا يصلون الى درجة الاغراق بالمزج بين لغتين اجنبيتين عن بعضهما الاخر ، ولا الى درجة الاسفاف بالكتابة بلكنة محلية . وهم عندما يضطرون الى اجراء بعض عبارات من هذا القبيل يحتفظون لها في الطباعة بشكل من الاحرف يدعى بالانجليزية Italic - type

في هذا المكان اقف من الاستاذ انور المعداوي على اقرب ما يكون اذ اوافقه على استخدام الدارجة في الحوار ولكن في «اللحظات الحرجة » من العمل الادبي !.. اعني في اللحظات التي يضطر فيها الكاتب ان يجري العبارة لخدمة غرض ضيق على الفصحى ولا أظنها تضيق بغرض الا نادرا . نعم ، ان عبارة واحدة او كلمة واحدة قد تنقذ موقفا باسره . وليتساءل القارىء بعدها عن معنى هذه العبارة او هذه الكلمة في محلها من العمل الادبي فذلك أدعى الى امتاعه « بزوايا ولقطات » تنقله من جو الى جو في عالم الانفعال بالاثر .

حلب — قدري مايو